

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ

اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ

الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ

الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي

الشَّاكِرِينَ (145) ﴿

شرح الكلمات:

{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ} يارادقها؛ بل تموت {بِإِذْنِ اللَّهِ} حين ينتهي أجلها المحدد لها فإذا جاء أجلها لا تستأخر ساعة ولا تستقدم {كِتَابًا} مكتوباً عند الله

{مُؤَجَّلًا} أي مؤقتاً بأجل معلوم. {وَمَنْ يُرِدْ} بعمله {ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ} ما كتب له {مِنْهَا} وليس له حظ في ثواب الآخرة {وَمَنْ يُرِدْ} بعمله {ثَوَابَ الْآخِرَةِ} وما أعدّه الله للمتقين {نُؤْتِهِ مِنْهَا} ما يستحقه من النعيم المقيم {وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ} : الذين ثبتوا على إسلامهم فاعتبر ثباتهم شكراً لله، وما يجزيهم به هو الجنة ذات النعيم المقيم، وذلك بعد موته.

المعنى الإجمالي :

فقد تضمنت حقيقتين علميتين:

الأول :أن موت الإنسان متوقف حصوله على إذن الله خالقه ومالكه فلا يموت أحد بدون علم الله تعالى بذلك فلم يكن لملك الموت أن

يقبض روح إنسان قبل إذن الله تعالى له بذلك، وشي آخر وهو أن موت كل إنسان قد ضبط تاريخ وفاته باللمحة فضلاً عن اليوم والساعة، وذلك في كتاب خاص، فليس من الممكن أن يتقدم أجل إنسان أو يتأخر بحال من الأحوال، هذه حقيقة يجب أن تعلم، من قول الله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا} .

والثانية: أن من دخل المعركة يقاتل باسم الله فإن كان يريد بقتاله ثواب الدنيا فالله عز وجل يؤتيه من الدنيا ما قدره له، وليس له من ثواب الآخرة شيء، وإن كان يريد ثواب الآخرة لا غير، فالله عز وجل يعطيه في الدنيا ما كتب له ويعطيه ثواب الآخرة وهو الجنة وما فيها من نعيم مقيم وأن الله تعالى سيجزي الشاكرين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. هذه الحقيقة التي تضمنها قوله تعالى: {وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ} . فالموت والحياة بيد الله، ولا يمكن أن تموت نفس إلا بإذن الله، وفي أجل معين يعلمه الله، لا يتقدم ولا يتأخر. لذلك، قد يموت الصغير ويبقى الكبير، ويفتلك المرض بالشاب القوى فيما يعيش المريض العليل. وقد يسلم المقدم في الحرب ويُقتل الجبان. ومن ثم لا عذر للمرء هنا في الوهن والضعف. ومن قصد بعمله حظ الدنيا أعطاه الله ثوابها، ومن قصد الآخرة أعطاه الله حظاً من ثوابها وأجزله له، وسيجزي الله الشاكرين لنعمايه، وهم الذين أطاعوه فيما أمرهم به وجاهدوا وصبروا مع النبي صلى الله عليه وسلم.

كف نستعد للموت :

- 1- نتذكر الموت لنُحسن الاستعداد لما بعد الموت بالعمل والطاعة والاجتهاد في العبادة،
- 2- الاستعداد للموت يكون بحجر المنكرات، وترك المعاصي، ورد المظالم والحقوق إلى أهلها؛
- 3- الاستعداد للموت يتم بإزالة الشحناء والبغضاء والعداوة من القلوب،
- 4- الاستعداد للموت يكون ببر الوالدين وصلة الرحم.

خطر إرادة الدنيا بعمل الآخرة:

من الخطر العظيم أن يعمل الإنسان عملاً صالحاً يريد به عرضاً من الدنيا، وهذا شرك ينافي كمال التوحيد الواجب ويحبط العمل، وهو أعظم من الرياء؛ لأن مريد الدنيا قد تغلب إرادته على كثير من عمله، وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل ولا يسترسل معه، والمؤمن يكون حذراً من هذا وهذا.

صاحب هم الآخرة جعل الله له ثلاث منح ينعم بها في دنياه قبل نعيم الآخرة :

• **المنحة الأولى :** يجعل الله غناه في قلبه، وهذا هو الغنى الحقيقي الذي يقول عنه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم : (ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس) (رواه مسلم) ، فيعيش على القناعة والرضا بما قسم الله له، مبرراً من الطمع والشره ودوافع الحرام كما في الحديث : (وارضَ بما قسم الله لك، تكن أغنى الناس) رواه الترمذي وغيره وحسنه الألباني؛ فهو يستعف بغناه القلبي عما عند الناس؛ فيعيش بينهم أيها عزيزاً محبوباً (وارْزُقْ فيما عند الناس، يحبك الناس) رواه ابن ماجه وغيره وحسنه الألباني.

• **المنحة الثانية :** يهيئ الله تعالى الحياة الطيبة، مجموع الشمل، لا يشكو اضطراباً ولا قلقاً ولا ضنكاً، وذلك في كل شيء من أمره : في قلبه، وفكره، وأهله، وولده، وماله، وتجارته، ويجمع الله عليه القلوب، ويكتب له القبول، فيجتمع له كل ما يحيط به من أمور الخير جميعاً.

• **المنحة الثالثة :** ينعم بالتوفيق والتيسير من الله تعالى في أموره كلها؛ لأن الله معه بعنايته، حيث تأتبه الدنيا وهي راغمة، ينال رزقه فيها من حيث لا يحتسب هنيئاً مريئاً، ويجعل له رؤيه في كل أموره يسراً : { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ }.

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (200)



هذا هو الحق



قوله من تفسير سورة آل عمران الآية 145

تقدي ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدها (عزمي إبراهيم عزيز)

13- شكر النعمة القيام بحقها، وأداء ما ينعم الله تعالى به من نعم في مواضعه، فإذا أُعطي فشكر العطاء بإنفاقه في مواضع الإنفاق، وإذا منح القوة فشكرها أن يجعلها لنصرة الحق وخفض الباطل، وإذا أُعطي نعمة الحكمة والفكر السليم، فيكون الشكر بتسخير ذلك لنفع العباد، وهدى الناس، وإرشادهم إلى طرق البحث وتذليل الأرض لهم، وأن يكون ما ينتجه للعمارة لا للخراب.

14- الله سبحانه وحده هو المتصرف في كل شيء، فيأذن للملك بقبض الروح في الموت العادي وغير العادي، كتب الله هذا كتابا محكما محددًا بوقت لا يتعداه، ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها. وإذا كان العمر بيد الله، فكيف يصح الجبن والضعف؟

15- إن الجهل بالأجل أو العمر فيه الخير والمصلحة، فيبقى الإنسان في أمل وتفائل، ويتعد عن اليأس والإحباط، أما إذا علم الإنسان بوقت أجله، فيفقد الأمل ويعيش منتظرا الأجل المعلوم.

16- ليس من شرط العمل للآخرة أن ينطوي الإنسان عن الناس، بل الأصل هو تفضيل المخالطة على العزلة، كما هو منهج الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وجماهير الصحابة والتابعين والعلماء.

17- الجمع بين كسب رضا الله ورضا الناس فيمكن تحصيله بإتقان العمل، والبعد عن الغش فيه ابتغاء وجه الله، وامتنالاً لأمره.

18- التوكل على الله تعالى مطلوب، ولكنه لا يعني ترك التدبير، ولا يتعارض مع استعمال العقل، وكسب المال من وجهه المشروع، فالأخذ بأسباب العيش لا ينافي التوكل الذي هو عمل القلب، فمع شغل الجوارح بعملها ينشغل القلب بالاعتماد على الله، حيث يعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه وحده الذي بيده الخلق والأمر، والنفع والضرر، والعطاء والمنع، فلا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا حول ولا قوة إلا به.

والله اعلم

وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

1- الجهاد وخوض المعارك لا يقدم أجل العبد، والفرار من الجهاد لا يؤخره أيضاً.

2- أن النفوس جميعها متعلقة بآجالها بإذن الله وقدره وقضائه، فمن حتم عليه بالقدر أن يموت، مات ولو بغير سبب. ومن أراد بقاءه، فلو أتى من الأسباب كل سبب، لم يضره ذلك قبل بلوغ أجله، وذلك أن الله قضاه وقدره وكتبه إلى أجل مسمى: {إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون} .

3- أخبر تعالى أنه يعطي الناس من ثواب الدنيا والآخرة ما تعلق به إرادتهم.

4- أن الجزاء على قدر الشكر، قلة وكثرة وحسنا.

5- في الآية تشجيع للجبناء وترغيب لهم في القتال، فإن الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد فيه.

6- كل انسان ان الله كريم لا يضع أجر من أحسن عملا.

7- إن الحذر والحرص على الحياة لا يمنعان ما قدر الله تعالى،.

8- الإشارة إلى حفظ الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - وقد تربص به الأعداء، وأحاطوا به من كل جانب، وصار قريبا من هزة المختلس، ولكن الله تعالى أحاطه بكلائته وعنايته.

9- بيان أن الله سبحانه وتعالى قابض نبيه - صلى الله عليه وسلم - مهما يطل الأمد أو يقصر.

10- إذا كان الأجل مكتوبا، فإن ذلك لا يمنع أن العمل مكسوب، فعلى كل أن يعمل وكلٌ ميسر لما خلق له.

11- من كان يريد الآخرة ويقصد وجه الله تعالى في كل ما يعمل، ويقصد إلى الدنيا لا لذاتها، بل على أنها مزرعة الآخرة، فإن الله تعالى يؤتيه من ثواب الآخرة ما ادخره لعباده المتقين.

12- لا يكون النجاح في شئون الدنيا دليلا على القرب من الله تعالى، ولا الفشل فيها دليلا على البعد عن الله تعالى، ذلك قول الفجار